واقبلوا على لزوم طريقة ابائهم فاستحبوا اي اختاروا العمى اي الكفر على الهدى
اي الايمان قال القشيري قيل انهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم
مجرى اخوانهم في الاستيصال فان قيل اليس معنى هديته فاهتدى
حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى ومعنى تحصيل
البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في
الدلالة المجردة [illegible] بانه لما مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر
ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم
اي بسبب ذلك اخذ قهر وهوان فقال صاعقة العذاب الهون اي ذي
الهون وهو الذي يهينهم بما كانوا اي دائما يكسبون اي من شركهم وتكذيبهم
صالحا عليه السلام ولما انهى تعالى الخبر عن الكافرين من العرب بقي
اتبعهم الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة
لمن صد عنه فقال تعالى ونجينا اي تنجية عظيمة بما لنا من العظمة الذين
آمنوا اي اوجدوا هذا الوصف من العرب يقين وكانوا اي كونا عظيما يتقون
اي يجددون لهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على
شيء بغير دليل فان قيل كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر
قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امته
وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه
الانواع اجيب بانهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق
مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد ربما يكون
العذاب النازل من جنس ذلك العذاب وان كان اقل درجة وهذا
القدر يكفي في التخويف ولما بين تعالى كيفية اولئك الكفار اي عقوبتهم
في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل تمام الاعتبار

في

في الزجر والتحذير فقال تعالى ويوم اي واذكر يوم يحشر اي يجمع بكره بامر
قاهر لا كلفة فيه اعداء الله اي الملك الاعظم الى النار وقرا نافع بنون مفتوحة
وضم الشين ونصب اعداء على البنا للفاعل وهو الله تعالى والباقون بياء
الغيبة مضمومة وفتح الشين على البناء للمفعول ورفع اعداء لقيامه مقام
الفاعل ووجه الاولى انه معطوف على نجينا فيحسن ان يكون على وفقه
في اللفظ ووجه الثاني موافقة قوله تعالى فهم اي بسبب حشرهم يوزعون
اي يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحق اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم ولما بين تعالى اهانتهم
بالوزع بين غايتها بقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي النار التي كانوا ايما
يكذبون بها وما زائدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور كما قال تعالى شهد
عليهم وبين الشهادة وعددهم بقوله تعالى سمعهم وافرد السمع لتفاوت
الناس فيه وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون اي يجددون عمله مستمرين
عليه تنبيه في كيفية تلك الشهادة ثلاثة اقوال اولها ان الله تعالى
يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه
ثانيها انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على
تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور
تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات
كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه فان قيل ما
السبب في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان الحواس خمسة وهي
السمع والبصر والشم والذوق واللمس اجيب بان الذوق داخل
في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتاتى بان تصير جلدة
اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتاتى حتى تصير جلدة
الحنك مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في جنس اللمس وقال ابن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)